أمير المؤمنين
صلاح الدين الأيوبي
ودولته الكردية

اعداد
الأستاذ ملا عبدالله ملا رشيد الغرزي

الحـروب الصليبيــة

س : متى بدأت الحروب الصليبية وكيف كانت ومن هزمهم ؟

ج : - في القرن السادس الهجري بدأت الغزوات الصليبية ..

- وكانت مكونة من ست دول من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا والمجر وإيطاليا - تتحدى الإسلام والمسلمين كلهم لأن الكفر ملة واحدة ..

واستولى الصليبيون الأوربيون فعلاً على القدس ، وعلى عامة مدن الشام وقلاعه وطمعوا في مدينة الرسول ρ .. لأن المسلمين أصيبوا يومها بثلاث آفات ، من انحلال خلقي ، وتفسخ اجتماعي ، وضعف الوازع الديني ، وهنالك قيض الله للإسلام عماد الدين أتابك زنكي 54هـ الذي قارع الصليبيين ، وهزمهم في معارك كثيرة ، وفتح الرها وقام بعده ولده العظيم ، الملك العادل نور الدين محمود زنكي 569 هـ وصمم على إجلاء الصليبيين من الشام ، واسترداد القدس للمسلمين ، ومات رحمة الله عليه قبل أن يكمل مهمته ، وخلفه في ذلك أحد رجاله ومرشحيه ، الملك الناصر السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ملك مصر ، وهو الرجل الذي هيأه الله لهذه المهمة العظيمة ، وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص والتجرد للغاية ، والحرص على الجهاد ، والتفاني في سبيله وعلو الهمة ، في نصر الإسلام ، وقتال أهل الكفر والبغي ، وحسن القيادة ، وقوة التعظيم والصلاح والديانة والفتوة الفائقة ، والإنسانية السامية ومكارم الأخلاق ، ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال في العالم ، فكان بذلك معجزة من معجزات الإسلام ، ودليلاً على أن الإسلام لم ينته دوره ، ولم يفقد الحيوية والإنتاج ، وقد توحّد العالم الإسلامي من بين نهر الفرات ، وبين النيل للمرة الأولى بعد مدة طويلة ليقاتل أوربا ، التي تدفقت جيوشها واندفع ملوكها وأمراؤها ، وقوادها الكبار ليهاجموا العالم الإسلامي- وكذلك في وقتنا قد اجتمعوا لحرب الإسلام - وقد اجتمع تحت لواء صلاح الدين للجهاد أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع قبل ، والتهبت شعلة الجهاد والغيرة الإسلامية بعد مدة طويلة .. وهزم الصليبيين في حطين عام 583 ..

وفتح القدس في نفس العام .. [1]

---

[1] كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله ص 138

نبذة عن سيرة
صـــلاح الدين الأيوبـــي

س : متـى ولـد البطـل المغـوار والقائـــد المحنـــك صـــلاح الـــدين الأيوبي ؟

ج: كـان مولـده رحمـه الله فـي شهور سنة 532 هـ من بلدة دوين ، وهـي قبيلـة كبيـرة ، فـي الزاويـة الجنوبية الغربية من بـلاد أذربيجان ، مـن كردسـتان العـراق وإن قلعـة دويـن هـي قلعـة خفتيـد ، وصـلاح الـــدين كـــردي رونـــدي زرزاري هـذباني ، وكـان والـده نجـم الـدين أيـوب بـن شـاذى رحمـه الله [1] والياً في تكريت ، وفي الليلة التي غادر بها الأخوان تكريت إلى الموصل، ولـد لـنجم الـدين أيـوب ولـدٌ سمّاه يوسف ولقب بصلاح الدين .

وقد حمله في الركب متسائلاً عن مصيره المجهول ، إذ كان لا يدري أين يكون موقعه من عماد الدين ، وما درى أن القدر قد هيأه لقيادة الأمة جميعها إلى بر النجاة ! .

كان لصلاح الدين خال يسمى (شهاب الجارمي) وكان صديقاً لأسد الدين
قال عنه ابن جبير في رحلاته : " اسم وافق مسماه ولفظ طابق معناه "
وأكد ابن الأثير (إنه معجزة عصره رجل غني بالمؤهلات العظيمة).

وانتقلوا إلى الموصل ، واتفق لوالده الانتقال إلى الشام في دمشق ، وأعطي بعلبك فنقل ولده صلاح الدين إلى بعلبك ، وأقام بها في خدمة والده ، يتربى تحت حجره ، حتى بدت **منـه أمـارات السعادة :** أمضى صلاح الدين بضعة من سني طفولته في بعلبك ، فقد تلقى العلم في المدارس الدينية ، وتعلم القراءة والكتابة ، وتعلم الصرف والنحو ، وحفظ القرآن الكريم ، وكتاب التنبيه في الفقه ، والحماسة في الشعر ، وبعض رسائل أخرى عن ظهر قلب ، وتلقى علم الحديث على الحافظ أبي طاهر السلفي ، وأبي طاهر بن عوف ، والشيخ قطب الدين النيسابوري ، وعبد الله بن بري النحوي .

وكان له وزير كاتب يستشيره في أموره وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي الذي قال صلاح الدين عنه : لم أفتح البلاد بسيفي وإنما برأي القاضي الفاضل

---

[1] في كتاب النجوم الزاهرة ج6ص 4 : والروادية بطن من الهذانية ، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد ، وقال لي رجل عارف بما يقول وهو من أهل دوين : إن على باب دوين قرية يقال لها أجدانقان ، وجميع أهلها أكراد روادية ومولد أيوب والد صلاح الدين بها ، وشادي أخذ ولديه منها أسد الدين شيركوه ، ونجم الدين أيوب ، وخرج بهما إلى بغداد ، ومن هناك إلى تكريت ، ومات شادي بها ، وعلى قبره قبة داخل البلد .

ولقد كان القاضي الفاضل يجمع إلى حنكته السياسية ورعاً فائقاً فكان كثير الصيام والصلاة وقراءة القرآن وكان متواضعاً يكثر عيادة المرضى والإحسان للفقراء .[1]

و كان صلاح الدين يتحدث بأربع لغات : الكردية والعربية والتركية والفارسية :[2]

وكان شاباً عاقلاً نجيباً ديّناً تقياً ، وكان يميل إلى الصيد والقنص ، وكان فارساً بارعاً صنديداً ، حسبما تقضي عليه طبيعته الكردية ، وكان رحمه الله حسن العقيدة ،كثير الذكر لله تعالى ، وكان مواظباً على الصلاة جماعة ، وما ترك صلاة ما دام عقله عليه ، وكان إذا أدركته الصلاة ، وهو سائر ينزل من فرسه ويصلي ، وكان طاهر القلب والنفس ، خاشعاً رقيقه غزير الدمعة ، إذا سمع القرآن ، يخشع قلبه وتدمع عينه ، في معظم أوقاته ، وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ، وكان حسن الظن بالله تعالى ، كثير الاعتماد والإنابة إليه ، وكان عادلاً رؤوفاً رحيماً ، ناصراً للضعيف على القوي ، وكان كريماً جواداً ، وكان من عظماء الشجعان، قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات ، لا يهوله أمر وكان حليماً متواضعاً ، منادياً للجهاد لقوله تعالى :(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت :69]

الأسرة الباسلة

س : ماذا عن أسرة صلاح الدين الأيوبي ؟

ج: (البدو والكرد والبربر أقوام جبلوا على الحرية والبأس ، يبذلون ما في نفوسهم من شجاعة ، وما في أيديهم من خير ، دون تراجع ؛ لأن الفطرة الأولى لا تزال تسيطر على أرواحهم ، وهم يعطونك ما تريده من أنبائهم الصادقة دون حاجة إلى الخداع ، إلا إذا اتصلوا برجال السياسة فاطمأنوا إلى أساليب الدبلوماسية وحذقوا ضروب المراوغة ، ولكنْ لهم مع ذلك صدقهم الوافي ، ووضوحهم الساطع .

أقول ذلك لنعرف البيئة الكردية التي أحاطت بأسرة صلاح الدين قبل أن تتنفس الحياة عن وجوده ، فهي بيئة قريبة من البيئة العربية في البادية ، شجاعة وحميّة وأنفة واشتهاراً بالكرم والسخاء وعزوفاً عن الصغائر ، ولو عرف هؤلاء الفطريون أساليب الحروب الحديثة ، وملكوا أدواتها الصاعقة ، لا تثبت أمامهم أمة من الأمم ، فهم أهل نخوة وفداء واستبسال ، ولكن القوة الجسمية ليست كل شيء في ميادين القتال .

اشتهرت نساء الكرد كما اشتهر الرجال بضروب الشجاعة ، فالمرأة تقاتل جوارَ الرجل ، والقبيلة تأخذ دروس الفروسية في الهجوم والدفاع تحسباً لغارة مفاجئة ، أو توقعاً لمعاونة كريمة يطلبها حليفٌ معاهد ، لذلك كان الأمراء من حولهم يتصلون بهم ليأخذوا من رجالهم مَن يكونون عدتهم في القتال ، وقد عرفوا فيهم الصراحة والوفاء ، فهم أكثرُ اطمئناناً لهم من ذوي قرابتهم الذين لا يخلون من تنافسٍ يفضي إلى الشقاق ، وحين أراد الفرس أن يخضعوا الكردَ لطاعتهم وجدوا منهم شماساً وعنفاً وحميّة فلجؤوا إلى المسالمة ، لأنّ قوتهم الحربية حينئذٍ لا تغلب قوماً يشنون الغارات في الظلام ، ويعتصمون بالجبال في النهار ، فتمّ لهم الغلبة على المدى الطويل .

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج13ص 278

[2] كتاب صلاح الدين الأيوبي عبد الخالق سرسام

ومن قبائل الكرد ظهر زعيم القبيلة شادي – والدُ البطلين أيوب وشيركو ، وجدّ صلاح الدين بن أيوب – وهو بطلٌ باسل عرف الفرس مكانه فاصطنعوه ، ولكنه أبى أن يكون ممتثلاً إلا لما يراه الصواب ؛ فتركهم إلى حياة القبيلة في (دوين) ، ثم انعقدتْ أواصر الصداقة بينه وبين مجاهد الدين بهروز ، وهو رجلٌ ذو همةٍ سمع عن شادي فاصطفاه ليكون ساعداً له في عمله السياسي بالعراق ، تابعاً للسلطان مسعود السلجوقي ، وأميناً على حفظ الدولة بهذا الإقليم ، وكان من شأنه أنْ يبحث عن الشجعان في القبائل النازحة ليكونوا أعوانه في استتباب الأمن ، دون غرض شخصي ، لأنّ المواطن البغدادي ذو عشيرة معروفة فهو يمالئها ، وينحاز إلى جانبها ، وربما أوقع خصومها في اتهامات باطلة ، تجرّ إلى نزاعٍ طويل ، أما الغريب الطارئ من الأكراد فليس بذي غرض غير استتباب الأمن .

وقد أبدى شادي البطل همةً عالية لفتت الأنظار إليه ، فرأى مجاهد الدين بهروز أن يكون عامله على تكريت ، يقوم بأمرها بين طائفة من قومه الكرد ، يعرفهم بطبائعهم واتجاهاتهم ، فيحفظ وسائل الأمن ، ويقضي على المنازعات الطاحنة ، لا سيما أن ولديه ، أيوب وشيركوه قد بلغا مرحلة الشباب ، ولهما صيتٌ نابه بالشجاعة والمهابة ، فهما ساعداه وعضُداه وهكذا أصبحت تكريت مقراً آمناً للأسرة النازحة من (دوين) .[1]

[1] صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي للدكتور محمد رجب البيومي ص40

أسماء أولاد وأخوات نسر الشرق صلاح الدين الأيوبي

ولم تذكر كتب التاريخ والتراجم عدد وأسماء زوجاته إلا اثنتين فقط (عصمت أرملة نور الدين الزنكي وشمه ، لكنه خلف ثمانية عشر ولداً وابنة واحدة .

1- الملك الأفضل نور الدين علي ولد بمصر سنة 565هـ 1169م) كان فاضلاً وشاعراً كتب مصحفاً كريماً بخط يده .

2-الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن يوسف بن أيوب ولد بمصر سنة 567هـ1171م توفي سنة 595هـ 1198م نائب والده بمصر ثم صاحبها ومن أعماله بناء المدرسة العزيزية .

3- الملك الظافر مظفر الدين أبو العباس الخضر وقيل أبو الفتح الملك المشمر خضر بن يوسف الظافر ولد بمصر سنة 568هـ1172م وتوفي سنة 627هـ 1230م.

4- الملك الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي بن يوسف ولد بمصر سنة 568هـ1172م توفي سنة 613هـ 1216م كان كريماً وجواداً يكرم العلماء والشعراء عاطفاً على الفقراء .

5- المعز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق بن يوسف ولد بمصر سنة 570هـ 1174م

6- المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ولد بدمشق سنة 571هـ 1175م

7- الأعز شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن أيوب ولد بمصر سنة 572هـ 1176م .

8- الزاهر مجير الدين أبو سليمان داود وقيل الزاهد بن يوسف بن أيوب ولد بمصر سنة 573هـ 1177م توفي سنة 632هـ 1236م .

9- المفضل قطب الدين أبو محمد موسى ثم نعت بالمظفر أو مظفر الدين موسى بن يوسف بن أيوب ولد بمصر سنة 573هـ 1177م توفي سنة 631هـ 1235م

10 – الأشرف عز الدين أبو عبد الله بن يوسف بن أيوب ولد بالشام سنة 575هـ 1179م

11- المحسن ظهير الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أيوب ولد بمصر سنة 577هـ 1181م توفي سنة 633هـ 1237م .

12- المعظم فخر الدين أبو منصور توران شاه ولد بمصر سنة 577هـ 1181م

13- الجواد ركن الدين أبو منصور سعيد بن يوسف بن أيوب .

14- المعز إسحاق المتقدم .

15- الغالب نصر الدين أبو الفتح ملكشاه (فرخشاه – ملك شاه – فروخ شاه) ولد بالشام سنة 578هـ 1182م .

16- المنصور أبو بكر ولد بحران سنة 589هـ 1193م .

17- عماد الدين شاذي (ولد جارية) .

18- نصرة الدين بن مروان (ولد جارية) .

19- مؤنسة خاتون .

وأما أخواته :

1- ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب التي تزوجها ابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وبنت مدرستين الأولى معروفة باسمها

والثانية باسم الحسامية نسبة إلى ولدها حسام الذي استشهد في إحدى المعارك.

2- ربيعة خاتون بنت أيوب التي تزوجت مظفر الدين صاحب إربل ، بنت في دمشق المدرسة التي عرفت باسمها وأوقفتها على الحنابلة بسفح جبل قاسيون .

3- عذرا بنت شاهنشاه بن أيوب ولقد بنت عذرا المدرسة العذراوية بمدينة دمشق .

4- ست العراق بنت أيوب التي كانت من ربات البر والإحسان أوقفت بحلب خانقاهاً بذرب البنات . [1]

س : من من تكونت القيادة الأيوبية ؟

إن أغلبية عناصر هذه القيادات والإدارات تخرجت من مدارس الإصلاح .. إذ يلاحظ أن غالب القيادات الإدارية قد تخرجت من مدارس حران ودمشق التي مثلتها كمدرسة حياة بن قيس الحراني والمدرسة البيانية أما القيادات السياسية والعسكرية فقد تخرج غالبها من منطقة الموصل وجبل هكار حيث المدرسة العدوية التي أسسها الشيخ عدي بن مسافر وفروعها أما القيادات العلمية فقد كان أكثرها من مدارس الشرق كالمدرسة القادرية والمدرسة السهروردية وفروعهما . [2]

س : ما مدى خدمة القائد الناصر صلاح الدين الأيوبي للإسلام وللكرد حيث أن البعض يقولون : بأنه لم يُقم دولة كردية فماذا تقول لهم ؟

---

[1] راجع كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج4 ص 115 وما بعدها ..

[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس للدكتور ماجد عرسان الكيلاني ص 261

ج: * فكما لم يؤسس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب τ دولة باسم عربستان ،بل باسم الدولة الإسلامية ، كذلك إن المجاهد البطل صلاح الدين الأيوبي ، قد دافع عن بلاد الإسلام وطرد الصليبيين منها ، باسم الإسلام وليس باسم كردستان ، إذ عهدُ صلاح الدين وما قبله وما بعده إلى سنة 1765 كانت عهود الديانات ، ولأجل المبادئ الدينية كانت تقام الحروب ، إسلامية أو غير إسلامية ، فلفظ الصليبيين تصريحٌ ،بأن قصد هؤلاء الغزاة الأوربيين ، كان لأجل خلاص المسيحيين ، وإنقاذ قبر المسيح ، كما يزعمون من أيدي المسلمين ، وكان الرهبان يتقدمون الجيش ويقرؤون الانجيل ويرفعون الصليب في مسيرهم ، ولم يكن لأحد في آسيا أو في أوروبا أو أفريقيا ، شعور بتأسيس دولة قومية بحتة ، خالية عن المبادئ الدينية ، بل الوضع السائد في العهد القديم ما قبل سنة 1765 كان الاهتمام بالمبادئ الدينية ، وكان في تلك الحقبة ، خليفة للمسلمين في بغداد ، ولكل منطقة دولة صغيرة مرتبطة بالعاصمة، أو أمير مرتبط بالعاصمة ، أو أمير مرتبط نوع ارتباط بالعاصمة ، كما أن اثنين وخمسين إقليماً في الولايات المتحدة الآن مرتبطة بواشنطن .

والصليبيون احتلوا في بادئ الأمر ، شرق البحر الأبيض المتوسط ، وشملت غاراتهم جزيرة بوتان والشنكال والسروج ، إلى شمال حلب ، وصلاح الدين حارب تلك الغارات ، خمساً وعشرين سنة ، حتى كسّرَ شوكتهم .

والكرد قد أسسوا أربعة عشر دولة ، وخمساً وثلاثين إمارة في عهد الخلفاء ، كان لها ارتباط بالعاصمة ، [1]مع أن حروب صلاح الدين الدفاعية ، كانت في المناطق العربية ، فكيف يمكن فيها إقامة دولة كردية ، نعم كان القواد والكتائب الأمامية ، ومديرو الشؤون العامة غالباً من الكرد ، الذين حرروا القدس الشريف ، وفلسطين وبلاد الشام ومصر ، ولو كان أدنى البحث في دولة كردية ، فيعني هذا هزيمة نكراء للمسلمين أمام الصليبيين ، وأمام جحافلهم المقدمة إلى معركة حطين عام 1187م ، وكان جيش صلاح الدين مؤمنين مسلمين،كرداً وعرباً وكانوا إخوة كيد واحدة ، وما كان في الجيش ملحدون كشمو وخمو .

وما أحسن ما قال بعضهم :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنا الشـام فيه ووادي النيل سيان
وكلمـا ذكر اسم الله في بلدٍ عددت أرجـاءه من لبِّ أوطاني

وعندما استولى على حلب ، أرسل محي الدين الزكي قاضي الشام قصيدة ، يمتدح فيها السلطان صلاح الدين بقصيدة منها :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشرٌ بفتوح القدس في رجب

وبعد امتلاكه لدمشق ، قال صلاح الدين لرسول حلب : « **يا هذا اعلم أنني ما وصلت إلى الشام ، إلا لجمع كلمة الإسلام ، وتهذيب الأمور وحياطة الجمهور ، وسد الثغور وتربية ولد نور الدين ، وكف عادية المعتدين** » (1) وقال في نفسه :**لقد جئت هذه الديار للمرة الثالثة مرغماً ، وقد شاء الله ذلك لأمر يريده ، وها هي ذي بوارقه**

---

[1] كما بسط وفصّل في كتاب « تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي » تأليف محمد أمين زكي ج2وسنأتي على ذكره في الرسالة الأخيرة

(1) صلاح الدين الأيوبي عبد الله علوان ص 43

اللامعة أخذت تلوح ، ولن يصدني صادٌّ عن هذه الغاية ، ودعا بصديقه القاضي الفاضل ، وكان أسد الدين يخصه بحبٍّ وثقة ، فقال له : **أنت من الآن عوني ! هدفنا واحد ، ونصر الله لا يبعد ، فهو قريب من المحسنين .**[2]

فتح القدس و تحريره نصر للمسلمين

،

وتطلعت الأنظار إلى القدس ، فأعدّ صلاح الدين عدته ، وبدأ حصارها في منتصف رجب يوم 24 ربيع الثاني 583هـ -20 سبتمبر 1187م وكان داخل القدس حوالي ستين ألف مقاتل صليبي ، وطلب الفرنج الأمان مقابل تسليم المدينة ، وشاور صلاح الدين أصحابه فأجمعوا على الإشارة بالأمان فأمنهم صلاح الدين ، وتم للمسلمين فتح القدس في يوم الجمعة 27 رجب 583هـ-12 أكتوبر 1187، وهو تاريخ مسرى الرسول الأعظم إلى القدس ، وظهر من تسامح ورحمة صلاح الدين الكثير ، مما اعترف به الصليبيون أنفسهم ، واستلمها صلاح الدين بعد 91 سنة من الاستيلاء ، [2] وأعاد بالقدس أولى القبلتين ، إلى روضة الإسلام ، بعد غياب طويل (فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب ،كيف يسر الله عوده إلى المسلمين ، في مثل زمان الإسراء بنبيهم ρ وهذه علامة قبول هذه الطاعة ، من الله تعالى ، وكان فتوحاً عظيماً .. وارتفعت الأصوات بالضجيج ، والدعاء والتهليل والتكبير) [3] وعاد صوت الأذان يصدح في جنباته ، وتم إحضار المنبر ، الذي أعده نور الدين ، للمسجد الأقصى قبل فتحها بعشرين سنة ، ونصر الله الإسلام نصر عزيز مقتدر .

ودخل صلاح الدين المسجد ، ونزل من فرسه ، وخر ساجداً لله ، وسجد سجود الشكر لله ، ولم يتمكن المسلمون من إقامة صلاة الجمعة فيها لوجود الخنازير والنجاسة ، فأمر صلاح الدين بتنظيفها ، وكان ينظفها بيديه الشريفتين وفي الجمعة الثانية ، أمر صلاح الدين أحد العلماء ، أن يخطب فبالغ الخطيب في مدح الكرد فقال

---

[2] صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي د. محمد رجب البيومي ص 76 دار القلم دمشق الطبعة الأولى سنة 1998

[2] عند بدْأ المعركة كان صلاح الدين يأمر الجاويش بأن ينادي في الناس : " يا للإسلام وعساكر الموحدين " فترى الناس قد ركبوا وقد باعوا أنفسهم بالجنة .....

عاد صلاح الدين بطل الكرد والإسلام بعد هذا الصلح إلى القدس حيث تفرغ لتنظيم شؤونها وتدعيم أمورها فأنشأ بها من المدارس العلمية والملاجئ الخيرية والمستشفيات ما خلد به ذكره على مدى السنين 0 ويقول الرحالة ابن جبير الذي كان معاصراً للسلطان صلاح الدين : أنه كان في الشام ما يقرب من عشرين مدرسة علمية ولم يمض على هذا طويل عهد حتى بلغ عدة المدارس المثلين 0 أما مجموع المدارس في كل المناطق فقد بلغت ما يقارب ثلاثمائة مدرسة 0

[3] سيرة صلاح الدين الأيوبي تأليف تاج الدين ابن أيوب ص 53

صلاح الدين : انزل من المنبر فليس قصدك إرضاء الله تعالى ، ثم طلب القاء الخطبة من أستاذه قاضي محي الدين محمد بن زكي الدين علي القرشي رحمه الله وكان من كرد أربيل فقال في مقدمة خطبته الأولى :

الحمد لله ذلّتْ دولةُ الصُلبي وعزّ بالكردِ دينَ المصطفى العربي

وفي الخطبة الثانية دعا لصلاح الدين بقوله : اللهم أدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع وشهابك اللامع والمحامي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك الممانع ، السيد الأجل الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدو الصلبان صلاح الدين والدنيا ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهّر اليت المقدس من أيدي المشركين ، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين ، اللهم عم بدولته البسيطه ، واجعل ملائكتك برياته محيطه ، وأحسن عن الدين الحنفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه .....

ولما نزل الخطيب من المنبر ، أنكر صلاح الدين قوله في الشعر وقال : بل اعتزَّ الكرد بالإسلام كما قال سيدنا عمر بن الخطاب τ (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله) وفي الجمعة الثالثة سمع صلاح الدين أن الصليبيين جمعوا جموعاً ، لاسترداد القدس من المسلمين ، فخطب بنفسه رحمه الله وقال في خطبته بما معناه :

(أيها المؤمنون ما وصل إليكم ما وصل من الدين العظيم ، والأخلاق الشريفة إلا بدماء من قبلكم ، فإن سرتم على طريقهم ، بفداء الأنفس والأموال ، فستوصلون ذلك إلى من بعدكم ، وإن توليتم فستكونون نقطة لعنةٍ ، بين السابق واللاحق) .

((وفي اجتماع للأمراء عند السلطان صلاح الدين قام فيهم خطيباً وقال لهم : ((**اعلموا يا قوم أنكم وحدكم اليوم جند الإسلام ، ودماء المسلمين وأموالهم معلقة بذممكم أنتم ، وليس لهذا العدو الغادر مَن يلقاه غيركم ، فإن توليتم عنه طويت بلادُ الإسلام تحت قدمه كطيّ السجل وأنتم تنظرون ، والمسلمون كلهم في بقاع الأرض يعقدون الأمل عليكم وحدكم ، فكيف تخذلونهم وقد وعد الله عباده النصر على أعدائهم ، ولن يكذب الله وعده !)) .**

ثم بكى السلطان فتأثر الحاضرون وقالوا جميعاً : نحن يا مولانا عبيدك ومماليكك ، أنت الذي ربيتنا وعظّمتنا وأعطيتنا وأنعمت علينا ، وليس لنا إلا رقابنا ، وهي الآن بين يديك ، ولن يرجع أحد منا عن نصرتك حتى نموت !)) [1]

---

[1] صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي د. محمد رجب البيومي ص 233

ويقول صاحب كتاب حياة صلاح الدين الأيوبي : إن حروب فلسطين قد ابتدأت من بعد معركة حطين الكبرى ، ولم يكن حينذاك في أيدي المسلمين ولا قرية واحدة ، من أرض فلسطين ، ولكن صلح الرملة ، الذي أبرم في اليوم الثاني بعد العشرين من شعبان عام 588هـ قد مكن المسلمين ، من بسط سلطانهم ، ونفوذهم على كل فلسطين ، سوى قطعة من الأرض مستطيلة تمتد من الصور إلى عكا ، حيث طرد الإفرنج من كافة البلاد ، في تلك البقاع الشاسعة ، وعادت القدس إلى أملاك السلطان ، وبذلك ظهر شأن الإسلام واسترد شرفه ورونقه من جديد .

بعد فتح القدس بمدة وبعد سفر ريتشارد إلى انكلترا ((اتجه صلاح الدين إلى دمشق ماراً بالقرى والمدن فكان يستقبل استقبال الفاتح المنتصر وجعل يتفقد القلاع الساحلية ويعمل على سد ما بها من الخلل ويتسمع لآراء الحاميات القاطنة بها فيستجيب لما يطلبون في بشاشة وابتهاج حتى إذا بلغ دمشق كان استبقاله بها فوق ما يتصور فاختلط بالعامة وآنسهم واستمع إلى رغباتهم ..)) [2]

[2] صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي د. محمد رجب البيومي ص 245

ثم أسس صلاح الدين دولة أيوبية كردية في مصر وبلاد الشام واليمن إلى العراق وكردستان ، ووحدها جميعاً تحت راية الإسلام السمح وبناها بالمفهوم الإسلامي الشامل لا بالمعنى الحاضر القومي السلبي ولا بالتعصب العرقي والاستبدادي ، وأن الملك صلاح الدين عامل رعيته فى بلاد مصر بخير يعجز الواصف عن وصفه وأرسى العدل وأحسن إلى المصريين وأزال مظالم كثيرة على الناس وأمر بإبطال الملاهى فى بلاد مصر وأبطل كل منكر شرير وأقام حدود شريعة الإسلام .

جاء في تاريخ الشرقاوي على هامش فتوح الشام ، ثم جاءت الدولة الأيوبية والكردية أصحاب السنة والفتوحات ص117/ ويقول في ص 128/ وكان آخر الدولة الكردية ، وجملة ولاياتهم إحدى وثمانين سنة ، ثم جاءت الدولة التركية مماليك الأكراد - أي الأتراك كانوا مماليك للأكراد - في حدود سنة خمسين وستمائة هجرية ، وكان نهاية الدولة الكردية الأيوبية على أيدي مماليكهم من الأتراك ، حيث قدموهم في وظائف الدولة تنافساً فيما بينهم ، وسُلمت إليهم الوزارة ورئاسة الجند ، وهجرت الأكراد الذين هم مادة الدولة ، وحلت محلها دول المماليك والشراكسة [1] .

قلعة حصن كيف

وفتح صلاح الدين مدينة - أسكيف - أو حصن كيف ، الشهيرة عاصمة الأيوبيين سابقاً ، وقد أمّر عليها أخاه الملك عادل ، ثم اضطر الملك للعودة إلى الشام ، بسبب وفاة الملك العزيز ، بعد أن ولى ابنه الكبير الملك الكامل في 27محرم 595هـ ، ومدينة حصن كيف كائنة على ضفاف نهر دجلة ، القربية من باتمان ، وهي ذات قلعة حصينة ، وذا منارة لا مثيل لها ، قد بنيت في عهد الملك محمد الغازي الأيوبي ، أحد ملوك الأيوبيين ، وأشهر ملوكها الملك خليل الأيوبي بعد صلاح الدين الأيوبي ، وقد شيّدت في القلعة جامعة إسلامية ، نظيرة للأزهر الشريف ،

[1] هؤلاء المماليك يطلق عليهم لقب المماليك البحرية ، وكانوا حرساً خاصاً للسلطان أرقاء من الجركس والكرج اشتروا بالمال ، وكانوا يقيمون في ثكنة عسكرية بجزيرة الروضة ، وسط النيل فهذه الطائفة من المماليك قضت على حكومة الأيوبيين بوادي النيل ودام سلطانهم في مصر وسورية من 648 - 792 .

وتاريخ تشييدها مكتوب في المنارة الموجودة في المسجد ، الذي يضمن ساحة الجامعة المؤلفة من 366 غرفة ، مع كل غرفة صالون للفقهاء والطلاب ، وقد تخرج منها نخبة من العلماء المشهورين أمثال : الشيخ أحمد الخاني ومولانا جامي وغيرهم ... وكان ملا أحمد الجزيري مدرساً فيها وقد أجاز كثيراً من العلماء ، ودامت حسنكيف دولة أيوبية 334 سنة .[1]

وبنى صلاح الدين حصناً كبيراً في انطرسوس يسمى **بـ حصن الأكراد** .

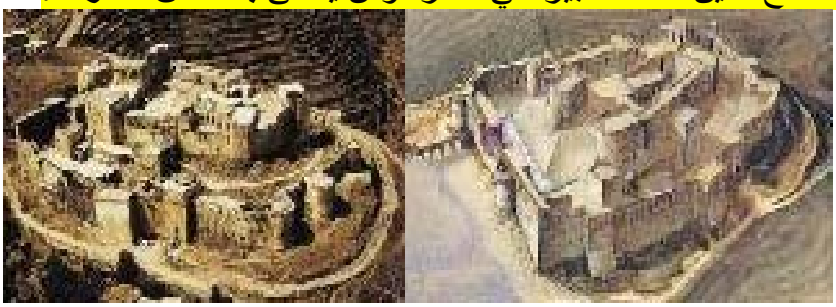

وحصن الكرد : هو حصن منيع حصين على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب وكان بعض أمراء الشام ، قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الكورد ، طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقاً ، فتدبروها بأهاليهم ثم خافوا على أنفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه ، إلى أن صارت قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم ..

قلعة صلاح الدين في عجلون بالأردن

وبنى صلاح الدين قلعة في عجلون بالأردن ... الخ .

---

[1] (كتاب التاريخ) تأليف عثمان الأيوبي الحسنكيفي ألفه في غضون 1800م هذا الكتاب موجود في تركية

(وبعد وفاة نور الدين الزنكي ، سيطر صلاح الدين على الشام ، وحرر كل أرض كوردستان من الأرمن والروم والسلاجقة ، بدءًا باربل وكرخيني كركوك ، وشهرزور السليمانية وإنهاء بديار بكر ، وخلاط والموصل ، ولأول مرة وآخر مرة يتوحد كوردستان ، تحت راية دولته الكردية المسلمة كما جاء في ص 62ج2 من كتاب الروضتين مايلي :

وشرع السلطان في أقطاع البلاد ، والتوقيع بها على الأجناد وسيّر الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري ، ومعه الأمراء من قبيلته والأكراد من شيعته ، إلى بلد الهكارية ، وجماعة الأمراء الحميدية ، إلى العقر ئاكرى وأعمالها لاستقطاع قلاعها ، وعبر مظفر الدين كوكبري صاحب حران وغيره من الأمراء ..) [1]

وهنا أنقل لك حقائق عن كردية صلاح الدين من مجلة كولان العربي عدد 19سنة 1997 ص 87 بعنوان :

ملامح الكورديه تي عند الأيوبيين

(ثاني امبراطورية كوردية بعد ميديا)

قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم في أول ، وهلة غرابة عنوان البحث ، وطرح موضوع غير مألوف وغير مطروق ، نعم إنه اكتشاف جديد عن حقيقة صلاح الدين الأيوبي ، الرجل المؤمن العادل المشهور عند الكورد ، بأنه لم يؤسس لهم دولة ، وإنما خدم الآخرين ، وأنه هو المسؤول عما آلو إليه من ويلات ، إنني بهذا المقال ألقي الضوء على جانب آخر من خبايا سيرة هذا البطل العظيم ، الذي كان محل إعجاب أعدائه قبل أصدقائه .

(عندما زار إمبراطور ألمانيا بلاد الشام سنة 1316هـ - 1898م ومعه الإمبراطورة ، خطب في دمشق خطبة قال فيها :"ومما يزيد في سروري أنني موجود في بلد عاش بها ، من كان أعظم رجال عصره ، وفريد دهره شجاعة وبسالة ، من كان قدومه الشهامة ، والذي كانت شهرته متجلية في الآفاق ، ألا وهو القهرمان صلاح الدين الأيوبي " وقد أرسلت الإمبراطورة إكليلاً بديعاً من الزهور ، باسم الإمبراطور وليم الثاني قيصر ألمانيا وملك بروسيا تذكاراً للبطل السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ليوضع على الضريح ، من كتاب حياة صلاح الدين لأحمد بيلي ص 216 ويستمر فيقول في ص 211 " إن هذا البطل الذي جمع تحت سلطانه من كوردستان ، حتى تونس أقواماً اختلفت عاداتهم .. ولكن وحّدتهم قوته ولاءمت بينهم شفقته " ومن ثم يقول " كان يكره الاستبداد والمستبدين عملاً بأمر الدين " وفي ص 212 يقول " اتخذ أول أمره من أهله وذويه ، عوناً في تنظيم الأحوال وترتيب الأمور ، فعززوه ونصروه ، ثم ركن إلى أهل المقدرة من أتباعه " ولقد قال لكاتبه الخاص بهاء الدين بعد أن تم (صلح الرملة) أنه يود أن يسير بالجيش إلى ناحية الشرق ، نحو بلاد الفارس وما جاورها ، لولا ما عليه الجيش من التعب ، بعد هذه

---

[1] كتاب صلاح الدين الأيوبي عبدالخالق سرسام ص 71

الحروب الطويلة [1] ، نعم أن الغزو المتأتي من الغرب ، قد أتعب جيشه ، فلولاه لفكر في أمور أخرى ، إذ أنه لم يحرر كوردستان كلها من السلجوقيين .

لقد كان صلاح الدين قائداً فذاً ، وإمبراطوراً بحق لقيادة العالم ، لقد دام حكمه وحكم أولاده وأحفاده ،حوالي مائة عام تقريباً . "ولما مات كان العالم الإسلامي في مأتم عظيم [2]. وقد يسأل سائل هل كان صلاح الدين يشعر بأنه كوردي ؟وما هو برهان كورديته في نفسه؟

قبل كل شيء نقول : صلاح الدين لم يقل أنا (عربي) ولم يقل (من أنا) لأنه كان يكره (الأنا) فهو بطل متقان من أجل العقيدة والله ، وكم من مستغل استغل ذلك " في البدء عينوه " اسفهسالاراً في مصر " أي (سوباه سالار) وتعني قائد قوات الجيش باللغة الكوردية . لقد كان مع عشيرته وجنوده وعائلته ومن الكورد ، ولم يكن وحيداً حتى يستعرب ، وينسى لغته ، وقد عاشوا مع الأتراك السلجوقيين في البدء ، ومن ثم انفصلوا عنهم ، وأسسوا دولتهم الكوردية ، وحكموا الجزء الأكبر من العالم الإسلامي ، نعم كانوا القوة الفعالة في جيش نور الدين الزنكي الأتابك السلجوقي ، وما كان اختيارهم لهم ، لإنقاذ مصر إلا اعترافاً بجبروت قوتهم العسكرية " أي أنهم القوة الكوردية الفاعلة " والخطيرة في المنطقة ، فعندما أعلنوا الخطبة العباسية ، وإنهاء الخطبة الفاطمية ، ذكروا في نفس الوقت ، استقلالهم عن نور الدين والتهيئة لذلك ، فأرسل صلاح الدين أخاه الأكبر توران شاه إلى غزو السودان ، ومن ثم اليمن ليكون لهم العمق العسكري في حالة هجوم نور الدين عليهم ، وعدم تمكنهم الدفاع عن أنفسهم وكان انتصارهم على :

انتصارهم على الفاطميين العرب والمقاومة الداخلية .

انتصارهم على الأتابكة السلجوقيين الأتراك .

انتصارهم على الإفرنج وكافة القوات الأوربية ...

وبذلك يتبين لنا ظهور المارد الكوردي الجبار من قمقمه ، ليسيطر على الشرق الأوسط برمته وتحديه للعالم كله . " إنه النواة أو الروح المتمثلة بوجود وتاريخ الشعب الكوردي ، المسامح الكريم القوي المؤمن بالله ، نعم هذه هي حقيقة صلاح الدين الكوردي الأيوبي ودولته الكوردية الأيوبية ، التي عرفها كل الناس في العالم ، ولا يعرف عنها الكورد الشيء الكثير .

أما استعمالهم اللغة العربية ، فمثل الصفويين والعثمانيين ، عندما كانوا يستعملون اللغة العربية ، إن لم يكن هذا القائد كورديتياً مؤمناً بالله ، فما هي الكوردايتي إذن ؟ !

إن لم يكن اعتداداً بالنفس وبأعوانه من الكورد ، فما هولون الكوردايتي إذن ؟! زعيم كوردي وبجيش كوردي " أو الأغلبية " يتحدى العالم ، لا من أجل الدمار والتخريب والتسلط ، وحب المال والنساء ، بل زعيم يتحدى العالم ، من أجل تثبيت العدالة و (صلاح الدين والدنيا) والبناء الحضاري ، فكم من كتبٍ قد ألفت عن انجازاته في ميادين الفقه والفكر والأدب والفنون .

---

[1] حياة صلاح الدين ص 212

[2] قرة العيون من تاريخ اليمن للإمام أكبر الهمام أبي الضياء عبد الرحمن بن علي الشيباني الزبيدي ص373 .

وكم من أمثلة عن مناصرته للمظلومين ، حيث كان يتفرغ في الأسبوع مرتين لسماع شكاوى الناس ، فلذلك تفتخر كل القوميات به ،لتجعله فرداً أو بطلاً منها وليس كـ " هولاكو " الذي يتبرأ حتى قومه منه ! إنه ممثلنا من بين عظماء وقادة العالم يا سادة ، فكيف تقولون بأنه لم يفعل للكورد شيئاً !.

تعاون الكورد معهم في كل مكان

وإليكم نموذج عن كيفية تعاون الكورد ، مع صلاح الدين يقول ابن الأثير [1] "صلاح الدين وسنجار " إنه أي صلاح الدين عند محاصرته مدينة سنجار ، وكان بها أمير أميران هندوا أخو عزالدين صاحب الموصل في معسكر معه .. -عند هذا - .. كاتبه بعض أمراء الكورد الذين به من " الزرزارية " وخابر معه وأشار بقصده من الناحية التي هو بها ليسلم إليه البلد ، فطرقه صلاح الدين ليلاً ، فسلم إليه ناحيته فملك الباشورة لا غير ، فلما سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع ، وطلب الأمان فأمن" من صلاح الدين ص158 الكامل ، وبهذا يتضح لنا كيف تعاون الكورد معه في كل مكان ، والكورد لم يروا أماناً واستقراراً إلا في عهده ، وإن مدينة أربيل كانت في أوجّ عظمتها في عهدهم ، عاصمة للعلم والحضارة ، وكذلك الموصل وحلب ودمشق والقاهرة واليمن ، وجميع المناطق دون استثناء ، وإن مئذنة أربيل خير شاهد على ذلك ، بأن مأذّنه نسيب صلاح الدين مظفر الدين كوكبري ، زوج ربيعة خاتون أخت صلاح الدين ، وبروز أسماء عشرات العلماء والأدباء من شهرزور وأربيل ودمشق والقاهرة ، الذين تخرجوا في مدارس أربيل ، وأصبحوا علماءً وقضاةً ومؤرخين ، في جميع البلدان الإسلامية .. كابن المستوفي وابن خلكان ، وكذلك علماء وفقهاء في المدن الأخرى ، كعماد الكاتب وابن الشداد وابن الأثير والشهرزوري وغيرهم ، عدا الأبنية والقلاع الباقية لحد الآن .

الكورديه تي عند جنود صلاح الدين الكورد وقتل ابن أخ صلاح الدين لكونه قد تنكّر لأصله :

جاء في ص 238من (الكامل في التاريخ) وكذلك في كتاب (قرة العيون من تاريخ اليمن الميمون) أنه بعد وفاة سيف الإسلام أخي صلاح الدين جاء ابنه إسماعيل ، وكان أهوج تنكر لأصله (أي أنه ادعى بأنه من بني مروان الأموي ليجعل من نفسه سلطاناً عربياً أموياً) فكتب الملك العادل إليه يلومه ويوبخه ، ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح ، وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس فلم يرجع ، إضافة إلى ذلك أنه أساء السيرة إلى من أفاده . [2]

وكان معظم جيشه من الكورد فاتفقوا على قتله ، وكان حديث العهد بلباس الخلفاء وكان اللباس يعيقه عن القتال ، لعدم معرفته بلبسه فقتلوه ، وملكوا بعده أميراً من مماليك أبيه.

الكورديه تي والشجاعة عند سلفه

(خطب شيركو عم صلاح الدين في جنده ، يخيرهم بين بقائهم في الشام ، أو العمل في مصر " إن الذين يخافون الموت ويستكبرون الأسر ، لا ينبغي لهم أن يخدموا الملوك ، فليخلعوا ثياب الجند ، وليلبسوا ثياب الحراثين ، أو فليكونوا رهن بيوتهم ، في أحضان نسائهم " فطربَ صلاح الدين وصفق له ، حتى كادت تدمى يداه [1]) إنه هو شيركو الشجاع ، الذي قتل ضابطاً من أقرباء بهروز ، لكونه قد تحرّش

---

[1] الكامل في التاريخ ج 10 ص 158 أخبار سنة 578 هـ "

[2] أنظر قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص 404 .

[1] حياة صلاح الدين أحمد بيلي ص 66

بامرأة في تكريت . ففقدوا دژداريتهم أي حكمهم لقلعة تكريت ، وفي ص 70 (وقد علمنا ما للكورد من الشجاعة ، منذ نعومة أظفارهم ، تلك طبيعة فيهم ، لا يستطيعون الفرار منها ، فكيف بصلاح الدين ، وقد جمع بين كوردية أصيلة ، ونباهة والده وسموّ منزلته اهـ .)

ذكرى نوروز

"قال العماد " لما دخل فصل (النيروز) وزاد ، استأذن الأمير نجم الدين أيوب ، نور الدين في قصده ولده صلاح الدين ، والخروج من دمشق إلى مصر ، بأهله وجماعته وسبده ولبده ، وخيم بظاهر البلد إلى أن بان وضوح جدده21ص 183 الروضتين من أخبار الدولتين للمقدسي ،

أي يتبين من ذلك ، أنهم قد تصرفوا كتصرف (الروند) ، أي عشائر الرحل الموجودين في دوين أربيل .. (خيام وعشيرة متجولة .. أصيلة .. وقد اختار لوقت السفر ، شهر نوروز وكما يظهر أيضاً من رسائل ابن الأثير ، والرسالة أو المقالة الخاصة بنوروز ، بعنوان كتاب كتبه تهنئة بالمهرجان والتي تبدأ بـ (الهناء كما يحسن بنوروز السنة ... ص 89 رسائل ابن الأثير وفي الهامش جاء " النوروز والمهرجان عيدان معروفان " ويقول في ص 90 من نفس الكتاب " وليتهنّ بهذا المهرجان ، ويستسلف هناء النوروز القابل ، ومن عادة الناس في مثل هذا اليوم ، أن يتأنقوا بالاحتفال ، ويضربوه موعداً للزوار ، وعَلَماً للأفضال ، وهذه العادة منسوخة لدى المجلس ، الذي تساوت أيامه التعظيم ، وقيل فيها : ولقد خلقنا الأيام في أحسن تقويم ..." حتى يقول : "وجعلته عيداً في عيدها ، ونوروزاً في نوروزها ، ومهرجاناً في مهرجانها ... " رسائل ابن الأثير ص 91 إذاً إنهم قد احتفلوا بنوروز ، لأن ابن الأثير هو الكاتب الخاص لملوك بني أيوب ، وإن هذه المقالة ، تشبه خطاباً قد ألقي في الاحتفال ، لأنه في الأخير يقول : فليعذرها المجلس أن أخفت ذلك ، لكونها معدودة في الجماد ، ولربما صمت اللسان والنطق مضمر في أثناء الفؤاد ، والسلام "

.

وجاء ذكر نوروز أيضاً في كتاب " تقويم النيل : وتعلم المصريون أيضاً عيد النوروز من الأيوبيين ، والآن يسمونه " شمّ النسيم " إذاً فقد أثّر الأيوبيون على المنطقة ، وكانوا محافظين على تراثهم ، ويعتبر هذا من أحد ظواهر الكورديتي عندهم أيضاً ، ومن شعر راجح الحلي لعيد نوروز [1]ننقل لكم أدناه مقطعاً شعرياً ، وهو شاعر الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب عند مدحه : [1]

---

(1) في الحادي والعشرين من آذار في كل عام، يحتفل الشعب الكردي بمناسبة " نوروز " أي اليوم الجديد، وهو اليوم الأول للعام الشمسي الجديد، وهو اليوم الذي يتساوى فيه الليل مع النهار، (الذي يرمز إلى ذكرى وطنية وإنسانية يختلط فيها الواقع التاريخي بالأسطورة الرائعة والمشرفة، إنها ذكرى انتصار الحق على الباطل والخير على الشر، وذكرى تتمثل فيها ديمومة الحياة ، وهي تقع في

أما ترى الدهر وقد جـاءنا مستقبلاً بالبشـر والبشـرى
العيـــد والنيروز في حاله والملك المنصور والنصـــرا
والأرض قد تاهت به واغتدت تختال في حلتها الخضـــرا

شعار صلاح الدين وشعار الكورد

كان علم الأيوبيين ، يتكون من قماش بلون أصفر ، وهو من لون (درفش كاوه الحداد) ومن لون النار أو الشمس ، أيام الزرادشتية ومن كلمة (زه رزارى) أي الطريق الأصفر ، أو الطريق الذهبي ، وتسمية (زه رزارى) اسم عشيرة صلاح الدين ، كما قاله ابن كثير في ص 259 من البداية والنهاية ، إذاً فاللون الأصفر ، رمز كوردي منذ قديم الزمان ، وقد اختاره صلاح الدين بكل وعي وقد اختار (نسراً أحمر فوق قماش أصفر) كشعار شخصي [1] - إنه شعار كان يرمز للقوة ، وكناية عن الشمس أيضاً ، كتأثير للمتراهية - فإن لم يكن هذا نابعاً من الشعور القومي فماذا يعني ...؟! وعدا كل ذلك ، إليكم هذا الشعر لعماد قد كتبه كتهنئة لشيركو ويقول فيه :

زارت بنـي الأصـفر البـيض التـي لقيـت حمـر المنايـا بهـا مرفوعـة الحجـب
وإنها نقد من خلفها أســـدُ أرى سلامتها من أعجب العجب

ص 159 الروضتين من أخبار الدولتين للمقدسي .

ويقول الشاتاني في وفيات الأعيان أيضاً :

النصر معقود لرايتك الصفـراء فسر وافتح الدنيا فأنت بها أحرى
يمينـك بهـا اليمن واليسر فـي اليسرى فبشرى لمن ينـال بهمـا الـذي بشرى

إذاً عزيزي القارئ الكريم :

اليوم الأول من الربيع، رمز تفتح فيها الحياة وازدهارها، ورمز الجمال والخير والعطاء. ومن المعروف أن ذكرى " نوروز " مستوحاة من ملحمة بطولية قام بها البطل الكردي التاريخي، الحداد " كاوى "، بالثورة ضد الملك الضحاك - أزدهاق- الظالم والمستبد وحقق الانتصار عليه . وفي ضمير ووجدان شعبنا الكردي يبقى هذا البطل التاريخي رمزاً للجماهير الكردية الكادحة ، التي تعاني من ظلم الطغاة الظالمين، لكنها تنتفض وتثور في سبيل الحق والحرية والكرامة وانتصار للعدالة، وتعطيهم الدفع لاستمرارية النضال والكفاح في سبيل الحرية والعدالة والمساواة) بقلم عبد الكريم محّو من موقع back to top وحينما يوقد الكرد النار ، التي تذكر بالنار التي همشت بجسد الحاكم الجائر ، إنما يسهمون في إقامة استعراض ومهرجان، ويخطرون بذلك كل الظالمين والمستبدين، بأنهم سيلاقون مصيراً مشابهاً لمصير ضحاك ، أو أكثر روعاً ، والنار قديماً كانت إشارة لإعلان الحرب وللنار خاصية وهي أن الجاذبية الأرضية لا تستطيع جذبها بل النار ترتفع وتقاوم وفيها إشارة لعدم قبول الذل والمهانة وعندما نتحدث عن مناسبة نوروز فلا يعني ذلك أننا نقر بالمخالفات الشرعية ، فالنوروز الحقيقي هو البعد عن المنكرات والاختلاط .. والذين يشربون الخمور ولا يعتبرون بمعاني نوروز فهم بعيدون عن حقائقها ومشوهون لها ، ومنذ القدم كان الأساتذة وطلاب العلم من الأكراد يخرجون لهذا الاحتفال البعيد عن المنكرات ، وصلاح الدين كان ينكر المنكرات التي ترتكب باسم نوروز . وإن هذا اليوم أصبح للشعب الكردي تقليداً خالداً يحتفل به منذ آلاف السنين. وإذا أردت التفصيل عن قصة الضحاك فراجع كتاب تاريخ الطبري ج1ص122

يقول الشاعر الأستاذ عبدالرحمن آلوجي عن نوروز

نيـروز يا عيداً تضمخ بالدم نيـروز يا رمز الفداء تقدمـي
نيـروز يا عيداً تقادم عهده صنو الحضـارة منذ أقدم أقدم
نيـروز يا نار الفداء تألقت وتضرجت قيعانها بالعنـدم
نيروز يا لغة أجلَّ بلاغـــة كلُّ اللغات عواطلٌ فتكلّمـي
أوّاهُ يا نارٌ تفجَّر في دمـــي أوّاه يا عيداً كفاني مأتمـــي
أوّاهُ يا جبلاً ينوحُ كثاكـلٍ لا تسفحي أماه دمع المرغم
سأظل أطلق من جبالي صرخة حمراء تشعل في الحراب لهاذمي
سأفجر التاريخ من آفاقـه وأضيء للأجيال ثورة ناقمـي

[1] عيون التواريخ ج20 ص173شاكر الكتبي أو مرآة الزمان 151/1 .

[1] ص 136 حياة صلاح الدين لأحمد بيلي

تبين لنا بأن الأيوبيين لم يكونوا جهلة بالوعي القومي ، بل كانوا أصلاء وكان تصرفهم الإنساني نابعاً ،من امتلاء النفس بالثقة ، والاعتزاز بما يقدمونه من تضحيات ، من أجل عقيدتهم وإخوانهم من الشعوب الأخرى ، وكان نابعاً من الاقتدار والقوة ، إنها تجربة قد نجح الكورد فيها رافع الرأس والراية .

وإن صلاح الدين ، أول شخص قد سمى نفسه ، الملك الناصر صلاح الدين والدنيا ،مع العلم بأن اسمه كان (يوسف) وهو أول ملك ، قد أعطى الحكم الذاتي للبلدان ، كما حدث للزنكيين في الموصل. [1]

وفي عهده بنيت الحكومات وكان حكامها معظمهم من الكرد :

والحكومات أو الدول الأيوبية ،هي أعظم الدول التي أسسها الكرد ومؤسسها - أي المباشر - (شادى = شاذى) بن مروان جد صلاح الدين الأيوبي في منطقة دوين :

1- حكومة القاهرة بمصر للملك العادل سيف الدين أخو صلاح الدين عام 596 هـ حتى 653 هـ

2- الحكومة الأيوبية بحلب لأميرها الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين في عام 579 هـ حتى 685 هـ .

3- الحكومة الأيوبية في الشام وكان حاكمها الملك الأشرف موسى أخو الملك الكامل في عام 626 هـ

4- الحكومة الأيوبية بحماة بعد دخول حماة تحت حكم الأيوبيين أعطاها السلطان صلاح الدين لنجل أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر حتى عام 698 هـ .

5- الأمارة الأيوبية في حمص وكان أميرها محمد ابن شيركوه في عام 579 هـ حتى 661 هـ (2) .

6- الأمارة الأيوبية باليمن ترأسها الملك المعظم توران شاه أخو صلاح الدين في عام 569 هـ ولما توفي تورنشاه أسندت حكومة اليمن إلى أخيه الملك العزيز طغتكين في عام 579 هـ 7 - الحكومة الأيوبية بالجزيرة تأسست عام 643 هـ وكان مركزها بمدينة ميافارقين ، والآن تسمى بالسليمانية ، وكانت بيد الأيوبيين ، وكان منهم أمراء (حصن كيف) الذين عمروا حتى القرن العاشر الهجري باسم (الملكان = الملوك) وكان تورنشاه وهو ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب القائد الداهية الجريء ،حين وفاة والده حاكماً على إقليمي الجزيرة وكردستان .

وعندما وصل القاضي ابن شداد إلى حران ، وعرض على مسامع السلطان - باسم حاكم الموصل - شروط الصلح فقبلها السلطان ، وهي تقضي بالاعتراف بالسلطان حاكماً على شمالي الجزيرة وشطر من كردستان أرمينية ..

ولا غرو أن الدولة الأيوبية ، تلك السلطنة الإسلامية الكبرى ، قد وضعت أساس تقدم عظيم ، ونهضة كبرى للعالم الإسلامي ، حتى أضحت تلك السلطنة ، كعبة العلماء والفضلاء يحجون إليها من كل صوب ، حيث كان هؤلاء العلماء ، يلقون لدى ملوكها وأمرائها كل تشجيع وكل عناية ، مما شجعهم على خدمة العلم والفنون ، كما

---

[1] انظر الأيوبيون في الشام والجزيرة أحمد التكريتي ص 137 .

[2] وفي كتاب سيرة صلاح الدين لابن شداد ص 244 يقول : والملك المجاهد شيركو صاحب حمص والأمجد بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك .. وذلك في أيلول الموافق 21من شعبان .

أدخلوا تحسينات كبيرة وواسعة على نظم الإدارة ، وعلى طرق الجباية ، ونظموا كثيراً من أصول ومراسم المكاتبات السلطانية ، والألقاب والعناوين الحكومية ، وتقدمت نظم الإقطاعيات في المملكة الأيوبية ، تقدماً كبيراً ، وقد انتقلت هذه النظم الإقطاعية مع الصليبيين إلى أوربا ، حيث تأصلت وسادت فيها ، شأنها شأن غيرها من عادات.. وتقاليد فرسان القرون الوسطى بأوربا ، تلك العادات والتقاليد ، المقتبس معظمها ، من أصول وعادات العهد الأيوبي في الشرق ، مثال ذلك شعار الملوك وأسرهم . [1]

(إن صلاح الدين ، قد أسس كياناً أكبر من الدولة والحكومات المحلية ، أو القومية إنه أسس إمبراطورية كبيرة ، تشمل أجزاء ، من القارتين بجهوده الشخصية ، وأقربائه وقوميته من الكورد ، ومناصريه من العرب والترك ، وانطلاقاً من خارج كوردستان أي في مصر ، إنه أعجوبة في التاريخ قد لا تتكرر ، وقد انتصر على كل الجيوش الأوربية ، الآتية من الغرب والسلجوقية من الشرق والمعادي من الداخل ، في الوقت الذي أذعنت فيه الخلافة العباسية للحكم السلجوقي ، وتركت صلاح الدين وحيداً في الميدان ، مع العالم والتحدي الصليبي ، نعم إنه صلاح الدين الكوردي الذي قال : لا مع كل ماله ، من صفات عالية ومعروفة ، لدى القاصي والداني ، أما مسألة عدم بقاء دولته ، فإنه إلى أن مات ، لم يجرؤ أحد في كل العالم مع التقرب منه ، ولكن الأجيال المتعاقبة من أبنائه وأحفاده ، هم المسؤولون عما حدث ، وخيانة المماليك والهجمة الشرسة لـ هولاكو .

وفي الأخير قد جاء دورنا لكي نسأل هل بقيت دولة خلفاء الراشدين ؟ وإمبراطوريات الأمويين ؟ والعباسيين والعثمانيين ؟ والرومان وشاهنشاهية ميديا وساسان ؟ هل كانت علاقة القادة من الشعوب الأخرى مع الكورد ، بعد صلاح الدين مثل علاقة صلاح الدين مع شعوبهم ؟ وما التاريخ إلا موعظة للسياسيين) [2]

وأخيراً : فإن الحكم باللاحق على السابق خطأ، كما لو كان بالعكس ، فلا يحكم على ساعة الصباح بساعة المساء ولا بالعكس ، إذ لكلٍ حُكمها لا يتقدم ولا يتأخر .

الوحدة والمحبة الإسلامية

(فالسلطان صلاح الدين يتسامح إلا في دينه ، يدعو إلى الوحدة الإسلامية ، رافعاً الراية عالية ، وذلك من خلال الكتاب ، الذي خطه القاضي الفاضل باسم السلطان ، إلى خليفة بغداد (من أجل صالح الإسلام والمسلمين ، فإننا نعطي الأولوية ، لكل ما يوحد قوتهم ، ويجمع كلمتهم) وقد وفق صلاح الدين ، في إنشاء وحدة إدارية شاملة ، تنتظم عقد جميع البلاد الإسلامية ، التي يقطنها كثير من الأقوام المتباينة الجنس والمختلفة اللغة ، بادئاً بكردستان

موطن آبائه وأجداده البهاليل ، حتى بلاد تونس من ناحية ، واليمن وعدن من جهة أخرى ، وكيف نشر لواء العدل في تلك الأصقاع ، وعامل الناس بالقسطاس المستقيم ، وحقق المساواة وقوّى فيهم الشعور بالأخوّة الإسلامية ، فلا عجب إذن ، ألا يبقى أو يوجد بين هؤلاء الأقوام أحد غيرُ راضٍ عنه ، أو يتوانى عن بذل النفس والنفيس

---

[1] كتاب تاريخ الدول والإمارات الكردية ج2 تأليف محمد أمين زكي ترجمة محمد عوني .

[2] كتاب صلاح الدين الأيوبي عبدالخالق سرسام .

مرضاة له ، وهذا أبلغ دليل على ما كان يتمتع به السلطان ،من كامل ثقة الجمهور ، وعظيم احترامهم لذاته ، ولا غرو فقد كان ينتصر للمظلوم ، ويعينه على الظالم ، ويغيث الملهوف ، ويقسو على القوي ويحارب العدو ، ويتساهل في حقوق نفسه ويتسامح ، وكان كل همه منصباً على رعاية شؤون الإسلام ، وتحقيق المسلمين ، والحرص على حقوقهم ، والسهر على مصالحهم .

ولم يكن صلاح الدين سلطاناً مستبداً ، يفعل ما يريد ، أو يبرم كما يتراءى له ، بل كان الأمر شورى بينه وبين ذوي المكانة ، والعقل الراجح ، وأصحاب الرأي الصائب ، والفكر الثاقب من رجالاته ، وذلك تمشياً مع روح الشريعة الإسلامية الغراء ، المستمدة من كتاب الله والسنة النبوية .. وطالما تنازل عن رأيه الخاص ، احتراما لرأي الجماعة ونزولاً على إرادة الأغلبية .

اهتمام صلاح الدين بالحياة الثقافية

رغم شهرته العسكرية ، اهتم بالحياة الثقافية والتعليم ، فأكثرَ من بناء الجوامع والمدارس الدينية والخانقاهات ، ولم تقتصر على العلوم الفقهية ، بل شملت جميع العلوم ، إذ بنى المدرسة الناصرية في مصر ، والمدرسة الصلاحية في القدس ، والعناية بالمكتبات والكتب وتجليدها وزخرفتها ، وبذل صلاح الدين جهده في الاهتمام بالفنون ، إذ انتشر الخط الأيوبي وهو اشتقاق من الخط النسخي ، والحفر على الخشب ، وتزيين البنايات بالرسومات النباتية والزخارف الجميلة ، والاهتمام بالحياة الصحية وذلك ببناء (المستشفيات = بيمارستان) في كل مدينة ، وبناء الجسور والقلاع وترميمها وتحصينها ، والاهتمام بالأسطول البحري وبالتجارة والصناعة (صناعة الزجاج والملابس) اهـ.

هذا بعض ما أنجزه وقدمه البطل صلاح الدين الأيوبي للإسلام وللأكراد ، فماذا أنجزنا وقدمنا لديننا ولشعبنا .

استراتيجية العمل والإعداد لدى صلاح الدين:

1- الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

وتمثل ذلك في إعادة الوحدة وتقويتها، وبناء الإنسان المسلم المقاتل، وبناء الاقتصاد الحربي.

2_ **بناء المجتمع للحرب:** وفي هذا حرص على إشاعة العدل وإزالة الأحقاد بين إمارات

المسلمين ، كما أقام الصناعات الحربية من دور صناعة سفن وتنظيم الحصون وحمايتها وتجهيزات الحصار...

3- وضوح الهدف :

الذي تمثل بقيادة الأمة الإسلامية لطرد الصليبيين ، وهذا الوضوح ساعد على كفاءة الأداء والإعداد فكان (يبذل أقل جهد لأفضل نتيجة) كما ساعد على تحديد أهداف العمليات العسكرية ، فكانت الأولوية للتحرير، وحددت السياسات على هذا الأساس . (1)

4- الحرص على المسلمين :

---

(1) في سنة 1966 أطلق في بريطانيا على عربة مدرعة اسم صلاح الدين تيمناً باسمه أ0 سيامند ابراهيم .

فهو (يحرص على المسلمين لتحقيق هدف الحرب ، ويحرص على الحرب للمحافظة على المسلمين) وقد اعتاد على رد العدوان ، بأقوى منه حفاظاً على الروح المعنوية، وتبني الاستعداد القتالي المستمر، وحدد لكل عملية أساليبها المناسبة .
بالإضافة إلى هذه الاستراتيجيات الأساسية ، فقد تبنى صلاح الدين في معاركه استراتيجية الهجوم غير المباشر ، مثل القيام بمسيرات طويلة وهجمات مباغتة، والهجوم على جهة لتخفيف الضغط على جهة أخرى ، واستراتيجية الحرب التشتيتية ، كتشتيت الجيش المعادي داخل المعركة (فصل الفرسان عن المشاة مثلاً) واستغلال النزاعات السياسية ، وضرب فريق بآخر ، وتحييد الأعداء ، واستراتيجية الهجمات الوقائية ، التي تضعف قدرة العدو القتالية قبل هجومه ، أو استكمال استعداده ، وحقق صلاح الدين في حروبه ، المبادئ الأساسية للحرب بكفاءة كبيرة مثل:
- مبدأ المباغتة .
- مبدأ أمن العمل: بما تمثل له من شبكة أمنية جاسوسية قوية ودقيقة.
- مبدأ القدرة الحركية : بما تعنيه من سرعة تحرك الجيش وتجمعه وانتقاله .
- مبدأ المبادأة والقوة الهجومية : الذي تمثل بتحويل الروح الدفاعية إلى هجومية .
- مبدأ الاقتصاد بالقوى : فلكل معركة ما يناسبها ، وبالنسبة للجيش الإسلامي ، فإن صلاح الدين رسخ الاستعداد الدائم للقتال، ورفع الروح الإيمانية والجهادية في النفوس ، كما نمى الكفاءة البدنية الجسدية ، وأكد على الانضباط وكمال الطاعة (في غير معصية) .

هل قتلَ صلاح الدين عمه شيركو

وأما عن الذين يقولون : بأن صلاح الدين قد قتل أخاه شيركو ، لأنه طلب منه بناء دولة كردية فهذا افتراء من جهتين **فأولاً :** شيركو ليس أخاه بل هو عمه [1].
وثانياً : إن صلاح الدين لم يقتل عمه ، بل كانا متحدين يشتركان سوية في الحروب ، وقد شاركَ صلاح الدين عمه أسد الدين شيركوه ، في حملاته الثلاث على مصر ، وإثبات أن صلاح الدين بنى دولة كردية رد مفحم ، على الذين يتهمونه بلا دليل ، ويظهر هنا التناقض الذي يذكره الجهال في حق سيد الأبطال .. وإليك الدليل على مشاركتهم لبعضهم :

حرب شيركو والأكراد

(في منتصف شهر ربيع الأول ، من سنة اثنتين وستين المذكورة ، وسار أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب حتى نزل بر الجيزة ، غربي مصر على بحر النيل ، وكان شاور ، قد أعطى الفرنج الأموال وأقطعهم الإقطاعات ، وأنزلهم دور القاهرة ، وبنى لهم أسواقاً تخصهم ، وكان مقدم الفرنج الملك مري وابن نيرزان ، فأقام أسد الدين[2] على الجيزة شهرين ، وعدى إلى بر مصر والقاهرة ، في خامس عشرين جمادى الآخرة ، وخرج إليه شاور والفرنج ورتب شاور

---

[1] يقول ابن كثير في البداية والنهاية ج12ص 259 شيركوه بن شادي أسد الدين الكردي الزرزاري وهم أشرف شعوب الأكراد وهو من قرية يقال لها دوين من أعمال أذربيجان ...
[2] أما عن كيفية وفاة شيركو فقد قاجئه الموت السريع دون مقدمات بعد شهرين من وزارته .. وكان رجل الموقف دون منازع ولكنّ أكلة دسمة أخذت بخناقه فما استطاع لشرها دفعاً ، وأعلن موته في وقت عصيب تختلف فيه الأهواء
وكان في جيش أسد الدين فقيه مرموق يدين له الجنود جميعاً بالطاعة لصدق إيمانه ونزاهة مقصده ، وترفعه عن عرض الدنيا ، هذا هو الشيخ الإمام عيسى الهاري . كتاب صلاح الدين د . البيومي ص 73

عساكره ، فجعل الفرنج على الميمنة مع ابن نيرزان ، وعسكر مصر في الميسرة ، وأقام الملك مرى الفرنجي في القلب ، في عسكره من الفرنج ، ورتب أسد الدين عساكره فجعل صلاح الدين في الميمنة ، وفي الميسرة الأكراد وأسد الدين في القلب ، فحمل الملك مري على القلب ، فتعتعه وكانت أثقال المسلمين خلفه ، فاشتغل الفرنج بالنهب ، وحمل صلاح الدين على شاور ، فكسره وفرق جمعه ، وعاد أسد الدين إلى ابن أخيه صلاح الدين وحملا على الفرنج فانهزموا ، فقتلا منهم ألوفاً وأسرا مائة وسبعين فارساً ، وطلبوا القاهرة ، فلو ساق أسد الدين خلفهم في الحال ملك القاهرة ، وإنما عدل إلى الإسكندرية ، فتلقاه أهلها طائعين فدخلها ، وولى عليها صلاح الدين ، فأقام صلاح الدين بها ، وسار أسد الدين إلى الصعيد فاستولى عليه ، وأقام يجمع أمواله وخرج شاور والفرنج من القاهرة ، فحصروا الإسكندرية أربعة أشهر ، وأهلها يقاتلون مع صلاح الدين ويقوونه بالمال ، وبلغ أسد الدين فجمع عرب البلاد ، وسار إلى الإسكندرية ، فعاد شاور إلى القاهرة وراسل أسد الدين ، حتى تم الصلح بينهم ، وأعطى شاور أسد الدين إقطاعاً بمصر ، وعجل له مالاً فعاد أسد الدين إلى الشام ، ومعه صلاح الدين ، واعتذر أسد الدين إلى الملك العادل نور الدين محمود بكثرة الفرنج والمال ، ورأى صلاح لأهل الإسكندرية ما فعلوا ، فلما ملك مصر بعد ذلك أحسن إليهم ..) اهـ [1]

مجزرة القدس ورحمة صلاح الدين

ولولا صلاح الدين وجهاده العظيم ، لجرى لنا ما جرى في أسبانيا ،عندما هاجم الصليبيون الأندلس ،لم يُبقوا فيها شخصاً مسلماً ، وكذلك كانوا سيفعلون بنا من قتل وهجوم على الدين ، ووضع الصليب في الأعناق ، لأن الصليبيين وبقيادة جودفري دخلوا القدس في سنة 492 هـ 1099م وقد ارتكبوا ما يندى له جبين التاريخ ، وفعلوا فيها ما تأباه الأديان السماوية والرحمة الإنسانية ، من الفظائع والأهوال مع المسلمين الآمنين ، فقد ذبحوا وقتلوا من المسلمين سبعين ألفاً ، من الرجال والنساء ، حتى كانت أرجل الخيول ، تغوص في دماء المسلمين ، إنه الحقد والعداء للإسلام .

وكان صلاح الدين على العكس تماماً ، مما فعله الصليبيون فقد تمثلت إنسانيته بأجلى معانيها ، فعندما أراد صلاح الدين أن يفتح مدينة القدس أرسل رسله إلى باليان وعرضوا عليه أن تسلم المدينة بشروط آمنة قبلها الفرنجة في مدن مجاورة وأهمها الأمان على الأرواح والأموال والنساء والأولاد والسماح بالرحيل لمن لم يشأ أن يقيم ببيت المقدس ولكن باليام أصر على موقفه .. فجائته رسالة من زوجة باليان الملكة ماريا كومنين ترجو منه أن يوفر لها الحراسة الآمنة حتى تنتقل بحاشيتها من بيت المقدس إلى طرابلس فإذا بصلاح الدين يرحب بالرسالة ويستجيب للملكة ويطلب منها أن تعلن أن السلطان لن يعترض سبيل أي راحل من المدينة من النساء والأطفال والشيوخ لأن هؤلاء ليسوا من أهل الحرب وهو لا يحارب إلا من يرفع السلاح في وجهه .

وتقدم صليبي إلى صلاح الدين وقال : إذا كان صلاح الدين يعلن سماحته هكذا ؟ فلماذا حضر إلى بيت المقدس ؟ وبكل هدوء قال صلاح الدين للسائل ؟ **أكانت المدينة**

---

[1] كتاب النجوم الزاهرة ج5ص 349

لكم أم أنكم جئتم فاغتصبتموها من أصحابها ، وأسلتم أنهار الدماء في يوم مشؤوم تتحدثون عنه بالإعجاب ؟! ووقف السائل لا يدري ماذا يقول ، فقال له صلاح الدين : اذهب سالماً ولن يعترضك أحد . وقل لمن أرسلوك : **إننا لا نحاربكم في أوربا ، ولم نخترق البحر بسفننا كي نزعجكم في دياركم ، ولكنكم اعتديتم على الآمنين فكان من رسالتنا أن نردّ الاعتداء .**[1] وعندما فتح صلاح الدين القدس ، أمر مناديه أن يعلن في الطرقات :

أن كافة العجزة الفقراء أحرار وكانوا سبعة آلاف شخص ، كما أطلق عدداً من الأسرى بدون فدية ، وكان عددهم عشرة آلاف أسير .

وذهبت زوجات الفرسان ، إلى معسكر صلاح الدين طالبات الرحمة ، ولما رأى بكائهن دمعت عيناه ، وأمر بإطلاق سراح أزواجهن ، أما النساء اللواتي فقدن أزواجهن ، فقد عوضن من خزينته ، وكان يقدّم لهن كافة التسهيلات وأجلّ الخدمات .

وقد أثرَ عنه أنه أكرمَ وفادة الملكة سيبيل وحقق رجاءهم ، إذ أرسلها إلى زوجها الملك جوى الذي كان أسيراً في نابلس ، كما أنه أجاب طلب الكثيرات ، من الأمهات والزوجات اللائي مررن أمامه باكيات مولولات ، بإطلاق سراح أبنائهن وأزواجهن من الأسر .

هذا عمل صلاح الدين الرحيم مع الصليبيين .. !!

((وقد عرف الفرنجة تسامحه مع أعدائه فكان إذا وقع أحدهم في خطأ وخاف العقاب من أميره الصليبي ، فرَّ إلى معسكر السلطان معلناً أنه يحتمي به فكان صلاح الدين يأويه ويكرمه ، ولكنه يأمر أحد خاصته بمراقبته كيلا يكون دسيسة تحمل الشر ..))[2]

وكثيراً ما كان صلاح الدين يحلم ويسامح حتى اعدائه من الملوك وغيرهم كما ظهر ذلك جلياً في معاركه وخاصة في معركة حطين وعكا والقدس فكانوا يتعجبون كثيراً من سماحته وعفوه ومع هذا كانوا يغدرون به ويخططون لحربه ...

ويقول مؤرخ غربي معلقاً : (فإن لم يُعرف عن صلاح الدين غير استيلائه على القدس فإنها الدليل الكافي ، على أنه أعظم فاتح يتمتع بقلب رحيم ، في زمانه وربما في كافة الأزمان)

ويقول المؤرخ رينيه غروسيه : (نبل صلاح الدين وإنسانيته العميقة وتقواه وتدينه ، الخلي من التعصب ، ومسحه التحرر واللطف التي سحرت المؤرخين الأجانب ، وجعلت شعبيته بين المسيحيين لا تقل عنها بين المسلمين ، فبالاحتكاك به في أصعب الظروف وأشدها حلكة ، حيث الإنسانية تظهر على حقيقتها ، أدرك الفرنجة أن الحضارة الإسلامية ، يمكنها أيضاً أن تنتج أمثلة إنسانية أكثر روعة وتفوقاً) .

---

[1] صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي د. محمد رجب البيومي ص 178

[2] صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي د. محمد رجب البيومي ص 258

وهنا سؤال للغرب : هل هدم صلاح الدين كنائسكم ؟ هل ذبح نسائكم وأطفالكم ؟ هل منعكم من ديانتكم ولغتكم وعاداتكم ؟ الجواب : لا وألف لا ! إذاً فلماذا تعادوننا ؟ وتعادون أحفاد الفاتح العظيم .... ؟!

وكان صلاح الدين صلاحاً ، صلاحاً لدنياه ، وصلاحاً لدين الله وصلاحاً لأخراه ، وكان لا يملك بيتاً ، وسألوه لماذا لا تملك بيتاً أيها القائد ؟

فقال : وماذا يفعلُ بالبيتِ من ينتظر الشهادة ليلاً ونهاراً ! ويروى غير هذا أنه شُيّد له منزل أنيق في دمشق فألقى عليه نظرة عاجلة ثم قال : (ما كنا لنجلس في هذا المكان إلى الأبد، فهذا المنزل لا يصلح لمن يطلب الموت ، وما نحن هنا إلا لنقوم بخدمة الله سبحانه) وقال يوماً وهو قرب عكا (في نفسي أنه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية السواحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتتبعهم فيها، حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت) .

وكان جالساً ذات يوم مع بعض أمراء الجيش ، فصارت بينهم دعابة فضحكوا ، ولم يبتسم هو فسألوه لماذا لا تبتسم أيها الأمير ؟ فقال صلاح الدين : (إني لأستحي من الله أن يراني مبتسماً ، والمسجد الأقصى أسير) ويقول ابن الأثير : رأيت كتاباً كتبه صلاح الدين بخط يده إلى أخيه شمس الدولة توران شاه نائبه ، وهو بدمشق يذكر الوقعة وفي أوله :

ذكرتُكِ والخطيُّ يخطر بيننا وقد نَهَلتْ منا المثقّفة السمر

ويقول فيه " لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة ، وما أنجانا الله سبحانه منه إلا لأمر يريد سبحانه وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر " [1] .

ومثل على شجاعته وكان رجلاً شجاعاً لا يهاب الموت، لا يخشى أن يموت بل إنه في وقت من الأوقات ركب البحر ، وكان كاتبه العماد الأصفهاني يخاف من البحر ولكنه وجد هذا القائد لا يبالي بالبحر ، وقد هاج فحدثه بما في نفسه أنه خاف فكيف لا تخاف أنت ، فقال له : ما هي أشرف الميتات، قال أشرف الميتات الموت في سبيل الله، (قال : فهذه هي غايتي ، غايتي أن أموت أشرف الميتات ، لا أموت على فراشي أحسن ما أموت عليه ، أن أموت في سبيل الله ، أن تصيبني ضربة بسيف أو رمية برمح أو طعنة بسهم فأقتل في سبيل الله) (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران:169] وكان يلاقي جيوش الفرنجة أو الصليبيين وهم بعشرات الألوف ، ولكنه لم يكن يبالي بهذه الكثرة ، مؤمناً بقول الله تعالى :(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة:249].

يقول الشاعر عماد الكاتب قصيدة منها : [1]

دانت لك الدنيا فقاصيهما إذا حققتــه لنفاذ أمرك داني
فمن العراق إلى الشآم إلى ذرا مصــر إلى قوص إلى أصوان
لم تله عن باقي البلاد وإنمــا ألهاك فرض الغزو عن همدان
للروم والإفرنج منك مصائب بالترك والأكــراد والعربان

---

[1] الكامل الشيخ عز الدين علي بن الأثير ج 10ص 86

[1] الروضتين ج2ص244ا

أذعنت لله المهيمن إذ عنـت لك أوجه الأملاك بالإذعـان
أنت الذي دون الملوك وجدته ملآن من عرف ومن عـرفان
في بأس عمرو في بسالة حيدر في نطق قس في تقى سلمان

نصيحة صلاح الدين لولده :

ويقول تاج الدين شاهنشاه ابن أيوب في كتابه سيرة صلاح الدين ص 195 وعندما عين صلاح الدين نجله الظاهر غازي ، في منصب من مناصب الدولة ، نصحه بهذه النصيحة فقال : « أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنها رأس كل خير ، وآمرك بما أمر الله به ، فإنه سبب نجاتك ، وأحذّرك من الدماء والدخول فيها والتقلد بها ، فإن الدم لا ينام ، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية ، والنظر في أحوالهم ، فأنت أميني وأمين الله عليهم ، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء ، وأرباب الدولة والأكابر ، فما بلغت ما بلغت إلا بمداراة الناس ، ولا تحقد على أحد ، فإن الموت لا يبقى على أحد ، واحذر ما بينك وبين الناس ، فإنه لا يغفر إلا برضاهم ، وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه فإنه كريم » .

وفاة السلطان الملك صلاح الدين الأيوبي
أبي المظفر يوسف ابن أيوب

وفي ليلة الأربعاء الموافق 27 من رجب عام 589 هـ 4 مارس 14آذارسنة 1193م وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه ، فساءت حالة صلاح الدين ، وأصبح في غيبوبة طويلة لم يفق فيها إلا نادراً ، فاستحضر أحد المقرئين ، ليقرأ عنده القرآن الكريم ، حتى إذا بلغ المقرئ إلى قوله تعالى : (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود: 88] تبسّم وجه صلاح الدين وتهلّل ، وأسلم الروح لبارئها ، وكان ذلك بعد صلاة الصبح بقلعة دمشق ، عن سبع وخمسين عاماً ، قضاها في خدمة الإسلام .

غسله الدولعي الخطيب ، وأمّ الناس عليه القاضي محي الدين ابن الزكي أبو المعالي .

وكان القاضي الفاضل حاضراً فقال :

ولما بدا وجه ابنُ أيّوب مشرقاً مع البدر قال الناسُ أيّهما البدر

ونقش على صندوق قبره من كلام القاضي الفاضل :
(اللهم فأرض عن تلك الروح ، وافتح له أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح) ودُفن معه سيفه ، ليشهد له يوم القيامة ودفن بجوار الجامع الأموي بدمشق عند بابه الشمالي ، وقد ورد في تاريخ هانمر أن صلاح الدين قد أوصى في أواخر حياته بالتالي :
« ادفنوا معي سيفي الذي حاربت به في قبري ، ليكونَ لي خير شاهدٍ يوم القيامة »
وقال مرة بيتاً من الشعر :

إن لم أصنْ بمهندٍ ويميني ملكي فلست إذاً صلاحُ الدين
تحمي الممالك ملْكها أما أنا فأريدُ أحمي الملك لا يحميني

وما شاع نبأ رحيله حتى ارتجت دمشق رجة عظيمة فكان زلزالاً عاصفاً أخرج الناس من منازلهم باكين صارخين ، وجلس ولده الملك الظافر بين الناس ليتقبّل العزاء ، ولكن الألسنة لم تكن تنطق ، بل كانت الدموع هي التي تقول ! [1]
فبكاه الناس على اختلاف طبقاتهم ، بكاء مراً واعتكفوا في بيوتهم طيلة يوم الوفاة ، حداداً وحزناً عليه ، فلم يكن يُرى في المدينة سوى أسواق مقفلة ، وشوارع مقفرة ، وقد أقيمت مراسم الجنازة ، على أبسط وأقل ما يمكن من المظاهر ، ودفن حيث مات .
وفي اليوم التالي لوفاته ، احتشد جمع غفير من الناس ، في الميادين والشوارع ، يبكون وينتحبون ، فكان عويلهم يرتفع ويصعد إلى عنان السماء ..
وخلف صلاح الدين 18 ولداً ذكراً وبنتاً واحدة ، وكان أكبر أولاده ، الملك الأفضل نور الدين علي تبن يوسف ، وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين ، وكان الملك الظاهر صاحب حلب أصغر منهما ، وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر .
وكان مدة ملكه للديار المصرية ، نحو أربع وعشرين سنة ، وملكه للشام قريباً من تسع عشرة سنة ، ولم يخلف في خزانته غير سبعة وأربعين درهماً ، وجرام واحد من الذهب ، وهي ثروة ربما ترك السائل لأولاده أضعاف أضعافها ، ولكن السخاء والحنان والشفقة على المساكين والفقراء ، تستنفد المال ولو كان مثل الجبال ، ولم يخلف داراً ولا عقاراً ، ولم يؤخر صلاة عن وقتها ، ولا صلى إلا في جماعة ، وكان إذا عزم على أمرٍ توكّل على الله ، وكان يسمع الحديث النبوي ، وكان حسن الخُلق صبوراً على ما يكرهه ،كثير التغافل عن أصحابه ، يسمع من أحدهم ما يكره ، ولا يُعلمه بذلك ولا يتغير عليه ، .. وكان طاهر المجلس ، فلا يذكر أحد بمجلسه إلا بخير ، وطاهر اللسان ، فما ولع بشتمٍ قط .
قال العماد الكاتب :مات بموت السلطان الرجال ، وفات بفواته الأفضال وعضت الأيادي ، وفاضت الأعادي ، وانقطعت الأرزاق وادلهمت الآفاق ، وفجع الزمان بواحده وسلطانه ، ورزئ الإسلام بمشيد أركانه . [1]

---

[1] صلاح الدين الأيوبي د. محمد رجب البيومي ص
[2] سيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شداد ص250.

ويقول الدكتور أحمد البيلي : « مات السلطان وبموته فقدت الأمة الإسلامية سلطاناً قوياً، أعزّها وأقالها من عثرة ، كادت تؤدي بها إلى الهلاك والدمار ..

توفي صلاح الدين وقد قدّر فضله أعداؤه ، إذ وجدوا فيه أستاذاً كبيراً وعاملاً عظيماً ، فأخذوا عنه دروساً في الشجاعة والفروسية ، ونماذج في الكرم ،ومثالاً يحتذى لمكارم الأخلاق، وينبوعاً للرحمة والشفقة ، فاغترفوا من فضائله غير قليل » .

وقد قال عنه استانلي ما ترجمته : « ولم يخطئ الناس إدراك أوصافه وأخلاقه ، فهو دون منازع شريف النفس ، همام شهم شجاع وديع رقيق شفوق ، طاهر القلب نقيه ناصع الحياة ، زاهد فيها مجدّ كدود ، بسيط ساذج في جميع أحواله ، غيور على دينه ..

بهذه الصفات الفريدة النادرة أصبح جديراً بأن يكون مثال البطولة في الإسلام » .

فهل نحن أخذنا الدرس والعبرة من صلاح الدين ؟ ؟ !

وهل سيعود المسجد الأقصى ، إلى أخويه الشريفين الطاهرين الكبيرين ، في المسجد الحرام في مكة ؟ ومسجد الرسول في المدينة ؟ هذا سؤال والأحداث جسام ، والأهوال عظام والأمة غافلة نائمة ساهية !! والمسجد الأقصى أسير ويستغيث بالمسلمين فهل من مجيب ؟

وأما عن الذين يطعنون في صلاح الدين ، فسببه أن هؤلاء لم يقرءوا التاريخ من مصادره الصحيحة ، وإنما قرءوها من كتب أعداء صلاح الدين ، من المستسلمين والعملاء والأجانب ، لأن هؤلاء ، يخافون ويخشون أن يظهر من الكرد صلاح جديد ، يقوض الباطل ويرفع راية الحق ، وليس ذلك على الله ببعيد، ولن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله بأيديهم ، قال تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف:8]

فلهذا ينكرون الحقائق عن كردية صلاح الدين ، والجاهل يسمع التاريخ من الناس الذين لا يفهمون منه شيئاً ، فعقوبة هؤلاء كبيرة ، إذا لم يتوبوا من سب صلاح الدين الفاتح ، وسب غيره من العظماء والعلماء ....

" اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك ، وجاهد رجاء رحمتك فارحمه "

نقول للبطل صلاح الدين رحمك الله يا قائدنا ، وأسكنك فسيح جناته ورضي الله عنك ونور ضريحك ، وأعلى مقامك في عليين مع الأنبياء والصالحين .
ونسأل الله سبحانه أن يخرج من بطون هذه الأمة الآلاف مثل صلاح الدين وأن ينصر أحفاده على الظالمين .

قالوا في مدح صلاح الدين الأيوبي

قال جكر خون في مدحه :

سرى تاجا صلاح الدين كردي أني روژى لبرجا آسماني

وقال جهاد الجيوسي :

في بطون النساء ألف صلاح أبشري قدس بانبلاج الصباح

وقال رضا عطية :

يا قدس نرثيك أم نرثي فوارسنا يا قدس من بصلاح الدين يحيينا

وقال الشاعر الفلسطيني محمود درويش :

هل خرّ مهرك يا صلاح الدين ؟ هل هوت البيارق ؟
في أرض كردستان ... حيث الرعب يسهر والحرائق .
الموت للعمال إن قالوا لنا ثمن العذاب
الموت للزراع إن قالوا لنا ثمن الكتاب
الموت للأكراد أن قالوا لنا حق التنفس والحياة
ونقول بعد الآن فلتحيا العروبة
مُري إذاً في أرض كردستان .. مري يا عروبة
هذا حصاد الصيف هل تبصرين ؟
لن تبصرين إن كنت من ثقب المدافع تبصرين .

ويقول الشاعر الفلسطيني (معين بسيسو) :

كم أكره من علمني الدرس الأول في التاريخ :

كردياً كان صلاح الدين وانتصر وأصبح بطلاً عربياً
ماذا لو هزم صلاح الدين لأصبح جاسوساً كردياً

وقال العماد الكاتب في فتح القدس ووصف السلطان وأخلاقه :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر ولسنا نرى إلا أناملة الخمسا
ولا يستحق القدس غيرك في الورى فأنت الذي من بينهم فتح القدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم فأذهب بالرجس الذي ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها وألبستها الدين الذي كشف اللبسا
وقد شاع في الآفاق عنك بشارة بأن أذان القدس قد أبطل النقسا

ولأبي علي الحويني المعروف بفخر الكتاب قصيدة :

جند السماء لهذا الملك أعوانُ من شكّ فيه فهذا الفتحُ برهان
هذي الفتوحُ فتوح الأنبيا وما لها سوى الشكر بالأفعال أثمانُ
تسعون عاماً بلاد الله تصرخ والـ إسلام نصّاره صمّ وعميان
والآن لبى صلاح الدين دعوتهم بأمر من هو للمعوان معوان

وأنشد الرشيد النابلسي :

ملك طبـق الممالك عــدلاً مثلما أوســـع البرية برا

قد جمعتَ المجدين أصلاً وفرعـاً وملكت الدارين دنيا وأخـرى

ورثاه جعفر شمس الخلافة :

كريم أتاه الموت ضيفاً فلم يكن لينزله إلا على السهل والرحب

فهل سيظهر صلاح جديد يتمسك بمبادئـه ، وهل سيحترم الآخرون حقوق أحفاد صلاح الدين الأيوبي ويكرمونهم ؟ .....

يا أحفاد صلاح الدين الأيوبي أيها الشجعان :

هكذا كان جدكم بنى لكم إمبراطوريـة عظيمـة فترحمـوا عليـه وتعلمـوا من سيرته وجهاده..

وأخيراً س : من لأحفاد صلاح الدين ؟

والجواب من رسول الله من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منـهم)

فهرس الكتاب

الحروب الصليبية
نبذة عن سيرة صلاح الدين الأيوبي
الأسرة الكردية
أسماء أولاد صلاح الدين الأيوبي

صلاح الدين والدولة الكردية
فتح القدس نصر للمسلمين

ملامح الكوردايتي عند الأيوبيين
تعاون الكورد معهم
صلاح الدين وذكرى نوروز
شعار صلاح الدين
الحكومات الكردية في عهد صلاح الدين

توحيد صلاح الدين للبلاد

اهتمام صلاح الدين بالثقافة
استراتيجية العمل عنده
هل قتل صلاح الدين عمه شيركو ؟

نصيحة صلاح الدين لولده
وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي

مدح الشعراء لصلاح الدين رحمه الله